دينـة أبـو أحمـد

لم يكن يعرف صليّح عن نفسه إلا أنه رجلٌ بسيطٌ في عيون الآخرين، فهو لا يملك وظيفةً عليا أو دنيا ليقبض راتباً آخر الشهر يباهي به باقي الفلاحين، ولا يلبس (بدّلة) جميلة، ولم يعلم أن النّاس تسأل به عند الإصلاح بين الناس أو حضور وليمة ولا حتى لا يدعونه في (جاهة) العريس، أو تذكره في حديث فيما بينها، وهو الرّجل البسيط الذي يحرث أرضه، وليس له منصبٌ أو جاه، لا يملك سيارةً أو عمارةً، ولا حتى بيتاً جميلاً كباقي بيوت القرية، والتي صارت تضاهي بيوت المدينة في جمالها، في ذلك اليوم ظنّ ولو للحظة أنه رجلٌ مهم، عندما عاد مساءً، فهبّ إليه أولاد الحارة مقبلين.

-هي يا صليّح ، الشرطة بتدور عليك، هيهم صاروا على باب الدار.

قفز عن كرسيه المهترئة، وذهب إليهم:

-خير، شو في؟

-إنت صليّح ؟

-اه، أنا صليّح.

-خذ، إنت مطلوب للمحكمة بعد أسبوع، ثم غادروا.

عاد إلى بيته متمتماً.

-خير يا صليّح ؟ قالت زوجته.

-من وين الخير بدو يجي؟ الشّرطة طلبتني للمحكمة بعد أسبوع، شو بدّي أسوي يا ربي؟ وصار يطوف في ساحة الدار يثني طرف(قمازه) تحت حزامه، ويقول: ولّ يا أبو أحمد، مش صابر علي أدبّر ١٠٠ ليرة، واااااااااااال مظلش عند النّاس خير.

-شو بدك تعمل؟

-بدبّرها.

ظلّ صليّح يركب حماره صباحاً، ويذهب إلى أرضه التي تقع قرب عين الماء، يزرع الخضراوات، ويسقيها من قناة الماء التي تصل إليها عندما يأتيه الدور في السّقاية، ويدعو ربه:

يا ربي هالبندورات يكبرن ويثمرن، وأَسدّ دينتك يا أبو أحمد.

يعود عصراً متعباً، يجلس قليلاً مع عائلته ويغفو سريعاً، فقد أضناه التعب.

وعندما زاره أبو أحمد، قال له:

-أنا صبرت عليك كثير، والمية ليرة بدّي إياهم، أنا مش فاتح دكانتي شؤون اجتماعية، ولا صدقة عن روحي قبل ما أموت.

-بس يثمرن البندورات، ببيعهن وبسدّ هالدينة.

-على كل حال، أنا رفعت قضية في المحكمة، وأنا بقول خلينا نتفاهم أحسن من الفظايح والشّرطة والحكومة.

-فش معي، بقلك فش معي، يعني أبيع ابني خير وأسدّك.

نهض أبو احمد البقال، وقال له: إنت حرّ ذنبك على جنبك، دبر حالك أحسن إلي وإلك.

-مالك فزّيت، اشرب الشاي، وبتتيسّر.

-بدش اتسمّم زفت، بدي مصاريي .

وعندما جاء موعد المحكمة، لم يذهب صليّح إليها، فأصدر القاضي أمراً بحبسه غيابياً، فأصبح مطارداً إلى الحكومة، يبقى مختبئاً في أرضه حتى بعد الغروب، ويعود بعد غياب الشمس بقليل، وعندما تسأل الشرطة عنه زوجته، تخبرهم بأنه ما زال خارج البيت، والغايب حجته معاه.

وبعد أسبوعين من مطاردة الشّرطة لصليّح، قبض عليه مختبئاً في الطابون بعد أن أخبرهم ذلك الطفل الشّقي الذي كان يلعب قربه، فقد أخبرهم أن صليّح يأتي إلى الطابون ليختبئ فيه كلما سمع سيارة قد جاءت إلى الحارة.

وقف أمام القاضي منهكاً.

سأله القاضي: شو يا صليّح بدك تهرب منا؟ أسبوعين واحنا انطارد وراك.

-والله يا سيدي القاضي إنكم غلطانين.

-شو بتقول؟ إحنا غلطانين؟ مجنون إنت؟

-إسبوعين الحكومة بطاردوا ورا صليّح ، مظلش حرامية في البلد؟ ولا ظل تجار لحمة فاسدة؟ ولا ظل تجار مخدرات؟ ولّ على مية ليرة، ثلاثة شرطة، وسيارة جديدة، ومطاردة وتعب وبنزين وغلبة، ومصاريف كلّ يوم أكثر من مية ليرة، لو دفعتوهن من مال الحكومة كان وفّرتوا على الدولة أكثر من ٩٠٠ ليرة على الأقل...مين المجنون أنا ولا الحكومة؟!... أقلّك، اسجنّي خلّي الشّرطة اتوفّر مصاري ويبنولهم مدرسة، وإلا أقلك، خليهم يزفتوا الشّارع إلّي في حارتنا، بلاش سيارة الشرطة تخرب لمن تيجي تعتقل صليّح، وخلّي أبو أحمد يهدا بالو، ويستَرّ خاطرو، وينام ليله الطويل، وخليني أنام في السّجن، وخلي البندروات ينشفن، الله لا يردّني، ولا يرد بندوراتي...

علم أبو أحمد بأن صليّح وقع في قبضة الشرطة، وأن زوجته أم الخير صارت تجوح وتنوح، فذهب في اليوم التالي إلى المحكمة، وأسقط حقه عن صليّح، وقال له: اقلّك، روّح عدارك، واسقي بندوراتك، الصبر على المفلس حسنة، وقت ما اتسدّ سدّ، ، والله يكون بعونا كلّنا.....